الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

كلية: الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:...../.....

1-رقم التسجيل ط1: **M201535095606**

2-رقم التسجيل ط2:**M201535095603**

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر: تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

بعنوان:

سيميائية الرمز في رواية باطن الهواء

لـ "ياسمين زهران"

إعداد الطالبتين:

- دلال قطوش

- خولة نويري

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

د/ بلقاسم جياب	**الرتبة: أستاذ محاضر**	جامعة المسيلة	رئيسا
د/ محمد سعدون	**الرتبة: أستاذ محاضر**	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
د/ محمد الصديق بغورة	**الرتبة: أستاذ محاضر**	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية : 1441-1442هـ- 2019- 2020 م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

أولا وقبل كل شيء نحمد الله عزّ وجل ونشكره على عظيم نعمه، اذ فضّلنا على كثير ممن خلق تفضيلا ، وأسأل الله تعالى أن يكون لنا عونا على طاعته ومحبته.

نتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الأستاذ المشرف الدكتور "محمد سعدون" الذي تفضّل بقبول الإشراف على هذه المذكرة، مما قدمه في هذا العمل من توجيهاته ونصائحه فلم يبخل علينا بشيء.

نتقدم بالشكر والتقدير لأعضاء اللجنة المناقشة كل واحد بإسمه.

كما نتقدم بتشكرنا واحترامنا لكل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي بصفة عامة وتخصص أدب عربي حديث ومعاصر بصفة خاصة، وكل التحية والتقدير لكل من ساهم في مساعدتنا بإنجاز هذه المذكرة المتواضعة من قريب او بعيد ولو بكلمة طيبة

إهداء

علّماني أنه لا محال .. فقرّبا من عيني ما استحال

وصار جميلهما لا يحصى .. فكيف تحصي حبات الرمال؟

إلى من حصد الأشواك عن طريقي ليمهدا لي طريق العلم ..

أمي وأبي

إلى إخوتي وأخواتي (منير ونذير، سلمى – بشرى – هبة)

إلى من جمعني القدر بهن فكن أخواتي، شاركتني أفراحي وقاسمنني أحزاني

إلى من يرفرف القلب عند ذكرهن وتدمع العين لفراقهن

إلى "الغوالي حبيباتي ورفيقاتي"

إلى خيرة ذا الزمان إلى جميع الأحبة في الله ...

إلى من أضاء بعلمه عقل غيره وأهدى بالجواب الصحيح حيرة سائليه

إلى الذين جالوا مفكرتي ولم تكتبهم مذكرتي..

إهداء

مرت قاطرة البحث بكثير من العوائق، ومع ذلك حاولت أن أتخطاها بثبات بفضل الله ومنه.

إلى كل من علمني حرفا في هذه الدنيا، إلى كل من كان له فضل في مسيرتي، وساعدني ولو باليسير، إلى أستاذي الذي كان له الدور الأكبر في مساندتي ومساعدتي صاحب السيرة العطرة والفكر المستنير أستاذي الدكتور محمد سعدون.

إلى من وضعتني على طريق الحياة، وراعتني حتى صرت كبيرة غاليتي (أمي).

صاحب الوجه الطيب، فلم يبخل عليّ طيلة حياتيه (أبي)

إلى أخوتي وأصدقائي، فقد كانوا بمثابة السند لي

حنان

المقدمة

المقدمة:

لقد رافق الأدب العربي قضية فلسطين قبل وبعد ظهورها على المسرح العالمي، حيث شغلت هذه القضية حيزًا واسعا في عصرنا الحالي، ولم تكن قضية وطنية تخص فلسطين وحدها بل تجاوز صيتها إلى العربية والعالمية.

فتابع جميع الأدباء مراحلها وأطوارها، فكتبوا عن انتفاضات الشعب الفلسطيني، وتجاوبوا مع انتصارات أبطال المقاومة، وأسالوا الحبر الغزير إعجابا وتشجيعا لأطفال الحجارة.

إذن فالقضية الفلسطينية صورة حاضرة وبقوة في أذهان الشعراء والأدباء، أحسنوا وصفها، ورسموا معاناتها، وحملوا لواءها بكل شفافية ومصداقية وقلم نابض مناضل على هذه الأرض، وإلى اليوم تبقى فلسطين هي الخنجر المغمد في قلب الأمة العربية.

ومن الذين حملوا هذه القضية وعبروا عنها نجد الروائية الفلسطينية "ياسمين زهران" حيث عبرت عن قضايا وطنها وركزت على الصراع الفلسطيني مع الاحتلال الصهيوني "اغتصاب فلسطين" فهي بمثابة القضية الأم لها، تبنتها في قلب عملها الأدبي قدر المستطاع، ومنه حاولت أنا وزميلتي التركيز في بحثنا هذا على جانب من مختلف جوانب الدراسة، ارتأينا ان يكون ضمن "سيميائية الرمز" في رواية "باطن الهواء" – من أيام فلسطين – لـ "ياسمين زهران" كأنموذجا للشرح والتحليل، وبهذا فقد كانت من بين دوافع اختيارنا لهذا الموضوع ودراسته هو الكشف عن بعض المظاهر المثيرة للغموض في الرواية خاصة عند توظيفها لمجموعة من الرموز الأسطورية والتاريخية والدينية، وكذلك من الدوافع أيضا استحضار هذه الشخصية الروائية مع القضية الفلسطينية وانشغالنا بها حتى تبقى قضية دائمة مفتوحة – محل بحث – لا غبار عليها.

فانطلاقا من ذلك كان تصور الإشكالية كالآتي:

- كيف وظفت "ياسمين زهران" الرمز والدلالة في روايتها "باطن الهواء"؟.
- وإلى أي مدى تم توفيقها في التعبير عن أهم مدلولاتها في الرواية نفسها؟.

وعليه فقد اقتضى البحث في أن نعتمد على المنهج السيميائي، وذلك بالوقوف على أهم القضايا التي أثارتها – الروائية – من الناحية الأسطورية والتاريخية خاصة في حديثها عن فلسطين – المحتلة – والاحتلال الصهيوني، دون ان ننسى حضور بعض المناهج الأخرى في الجانب التطبيقي كالمنهج التحليلي.

لقد كان تصميم البحث وفق منهجية فرضت نفسها، وهو ان يأتي فيه مقدمة وفصلين وخاتمة، ابتدأنا الرسالة بمقدمة استوفت شروطها الخاصة بها، مرورًا بفصلين رئيسيين، أما الأول فكان بعنوان بين السيميائية والرمز، والذي احتوى مبحثين وأوردنا فيهما تصور سوسير وبيرس وغريماس للعلامة وأهم الإشارات السيميائية عند العرب القدامى، وكذلك ماهية الرمز، أما عن الفصل الآخر فقد كان تعريفه مندرج لما لمحناه في الرواية من الرمز والدلالة، واقتصر على مبحثين هو أيضا، تطرقنا في الأول منهما إلى التوظيف الدلالي في الرواية، والآخر منهما كان راصدا لأهم أنواع الرمز فيها : الأسطوري والتاريخي والطبيعي والديني، ثم اختتمنا البحث بخاتمة ضمّت أهم النتائج المحصل عليها من خلال البحث، وأتبعناها بعد ذلك بملحقين اثنين، أولهما تضمن ملخص للرواية، وآخرهما حمل تعريف بالروائية "ياسمين زهران" ثم أرفقناها بقائمة لأهم المصادر والمراجع وفهرس للمحتويات.

ومن بين أهم المصادر والمراجع التي استلهمنا منها المادة المعرفية، والتي تضمنت بحثنا هذا، القرآن الكريم بالإضافة إلى الرواية هذا من ناحية المصادر، أما عن أهم المراجع التي انتقيناها منها: الرمز والرمزية لأحمد محمد فتوح بالإضافة إلى بعض الدراسات وبعض القراءات، وغيرها من المصادر والمراجع والمجلات التي كانت بمثابة المنهج الذي سرنا على خطاه في إنجاز بحثنا هذا.

وعليه فقد كانت من بين الصعوبات التي واجهتنا من خلال انتقائنا وبحثنا عن المادة المعرفية اللازمة لمحل دراستنا، والتي تمثلت في قلة الدراسات التي تناولت هذا البحث بشكل متخصص، بالإضافة إلى الظروف الصحية الصعبة التي لم تكن في الحسبان نتيجة انتشار

فيروس "كورونا" – " كوفيد19"، الذي كان حائلا بيننا وبين التنقل إلى الجامعات والمكتبات نظرا لإجبارية "الحجر الصحي" وغلق المؤسسات.

ولا يسعنا في الأخير، سوى تقديم الشكر الجزيل وكل عبارات الامتنان للأستاذ المشرف الفاضل الدكتور "محمد سعدون" الذي أشرف على هذه المذكرة وأثْراها بنصائحه وإرشاداته القيّمة، فتحيّة إكبار وإجلال لك يا أستاذ، وأعان الله إخوتنا في فلسطين وفي القدس خاصة.

المدخل

نشأة السيميائية والرمزية

المدخل:

تعد السيميائيات العامة فضاء نظريا لمساءلة قوانين المعرفة السيميائية وحدودها، إذ تستطيع هذه المساءلة أن تدعم مادتها العلمية فتحدد موضوعها وتجانس منهجها، وأن ترسي عبر بسط المقومات النظرية للعموم مرجعيتها التي ظلت غائبة، كونها قد أضحت اليوم تؤلف حقلا للأبحاث وفهرسا مفتوحًا للاهتمامات.

إن السيميائيات العامة هي فلسفة للمفاهيم تعف عن التحليلات الخاصة، وتسعى لطرح جملة من المقولات العامة التي تشرف على احتواء مختلف الوقائع السيميائية، فلسفة تتحاشى لحظة الاكتمال المسبق، وتنزع بخطابها نحو النسبية دون هيمنة إيديولوجية على الخطابات.[1]

وأقصر تعريف للسيميائيّة هو: «دراسة الإشارات». لكن هذا لا يفيد كثيرا السائل عن تعريف، فيسألك: «ماذا تعني بالإشارة ؟».

وأنواع الإشارات التي من المُرجَّح أن تخطر بالبال مباشرةً هي التي نسمّيها إشارات في حياتنا اليوميّة: كإشارات السير، والإشارات على الحوانيت، والنجوم باعتبارها إشارات ....

وإذا وافقت السائل أن السيميائيّة يمكنها أن تحتوي دراسة كلّ هذه الأشياء وزيادة، سيظنّ على الأرجح أنّ « الإشارات المرئيّة » هي موضوع السيميائيّة. وتعزِّر ظنَّهم إن قلت إنّ الرسوم واللوحات والصور الشمسية يمكن أيضا أن تكون مصدر إشارات، فينطلقون بحماس ليدُلّوكَ على قسم الفن والتصوير. ولكنّك إذا كنت جريئًا بما يكفي وأخبرتهم أنّ السيميائيّة تشمل أيضا الكلمات والأصوات ولغة الجسد، قد يتساءلون، وعن حقّ، عمّا يمكن أن يربط بين جميع هذه الأشياء، وكيف يمكن للمرء أن يدرس كلّ هذه الظواهر المتفرّقة، إن

[1] عبد القادر فهيم الشيباني: معالم السيميائيات العامة، أسسها ومفاهيمها، سيدي بلعباس، الجزائر، ط 1، 2008، ص 05.

بلغتَ هذا الحدّ معهم، من المرجّح أن يروا في ما تقول «إشارة» توحي بأنّك غريب الأطوار أو مختلٌّ عقليًا، وينقطع التواصل.[1]

باستثناء تعريف السيمياء الأساسي الأوّل – «دراسة الإشارات» – لا يتفق أعلام السيميائيّة على ما يتضمّنه مصطلح السيميائيّة. وأحد أوسع التعريفات قول أمبرتو إيكو (Umberto Eco): «تُعنى السيميائيّة بكل ما يمكن اعتباره إشارة». تتضمن السيميائيّة ليس فقط ما نسمّيه في الخطاب اليومي «إشارات» لكن أيضا كل ما «ينوب عن» شيء آخر. من منظور سيميائي، تأخذ الإشارات شكل كلمات وصور وأصوات وإيماءات وأشياء. ولا يدرس السيميائيون المعاصرون الإشارات مفردة، لكن كجزء من «منظومات إشارات» (مثال ذلك: وسيلة اتصال أو صِنفْ). يدرسون كيفية صناعة المعنى وتمثيل الواقع.

وقد ظهرت نظريّات عن الإشارات أو (الرموز) عبر تاريخ الفلسفة، مند القِدم وحتى أيامنا. ووردت أوّل إشارة بيّنة إلى السيميائيّة باعتبارها فرعًا من فروع الفلسفة، في مؤلَّف جون لوك (John Locke) مقالة تتناول الفهم البشريّ (Essay Concerning Human Understanding) لكن التقلدَيْن الأساسيين في السيميائيّة المعاصرة مصدرهما على التوالي الألسني السويسري فريدينان دوسوسير (Ferdinand de Saussure) (1857 – 1913)، والفيلسوف الأمريكي تشارلز ساندرز بيرس (Charles Sanders Pierce)(1839 – 1914).

ويرجع وضع سوسير مصطلح «سيميولوجيا» (Sémiologie) إلى مخطوطة كتبها في العام 1894.

بالنسبة إلى سوسير، «السيميولوجيا» هي «علم يدرس دور الإشارات كجزء من الحياة الاجتماعية»، أما بالنسبة إلى الفيلسوف تشارلز بيرس فحقل الدراسة الذي يسمّيه «السيميائيّة» هو «الدستور الشكلانيّ للإشارات»، مما يقربها من المنطق.[2]

[1] دانيال تشاندلر: أسس السيميائيّة، تر: طلال وهبة، بيروت، ط1، 2008، ص27–28.

[2] المرجع نفسه، ص28–30.

الرمز والرمزية: كلمة الرمزية «مثل كلمة الرومانسية والكلاسيكية» قد يكون لها معنى واسع جدًا فقد تستخدم لتصف أي لون من ألوان التعبير الذي يشير إلى الشيء إشارة مباشرة بطريقة غير مباشرة، ومن خلال وسيط هو بمثابة شيء ثالث، ولكن من الواضح أن كلمة الرمزية يجب أن يتحدد نطاق معناها – إذا أردنا أن نجعل لها أي دلالة كمصطلح نقدي.

وأول ما يجب أن نقربه في عملية التحديد هذه هو أن الرمزية ليست مجرد استبدال شيء بشيء آخر (كما يشبه ميلتون نبوءات الشيطان المهزوم بأوراق الخريف التي تغطي الأنهار في فلومبروزا). وإنما هي عملية استخدام صورة محددة للتعبير عن أفكار مجردة وعواطف، وعلى الرغم من هذا التعريف فإن معنى الرمزية مازال واسعًا حيث يقول إليوت في مقال عن هاملت (الطريقة الوحيدة للتعبير عن العاطفة في شكل فني هي إيجاد معادل موضوعي أي مجموعة من الأشياء أو المواقف أو سلسلة من الأحداث تكون في النهاية هي التركيبة المعادِلة لهذه العاطفة أو هي تركيبة هذه العاطفة على وجه الخصوص).

ومن قبل إليوت بثلاث سنوات قال استيفان مالارميه قولا مشابها لذلك في سنة 1891 حيث عرّف الرمزية بأنها فن إثارة موضوع ما شيئا فشيئًا حتى نكشف في النهاية عن حالة مزاجية معينة، أو هي فن اختيار موضوع ما ثم نستخرج منه مقابلا عاطفيا، ولكنه يضيف أن هذه العاطفة أو الحالة المزاجية يجب أن تستخلص عن طريق سلسلة من التكشفات، ومن المهم هنا أن نعود إلى عبارته الأولى « إثارة الموضوع شيئا فشيئًا » ولكن هذه التعبيرات مثل (المعادل الموضوعي) وما يقترن به من عواطف لا يجب أن يطرح عاريًا واضحا بل يجب أن يلمح له، وتلك نقطة يؤكدها مالارميه في موضوع آخر حيث يقول « أن يسمى الشيء مباشرة معناها أنك تقضي على أكبر قدر من المتعة المستخلصة من القصيدة مثلا، حيث أن هذه المتعة تتضمن في عملية الكشف التدريجي عن الشيء المقصود ».

ويشير إلى أن هذا الشيء يلمح إليه فقط ويختتم قوله «الممارسة الكاملة لهذه العملية الغامضة هو ما يضع الرمزية». ويعبر هنري ريجينر وهو تلميذ مالارميه عن نفس المعنى

حيث يعرف الرمز بأنه المقارنة بين المجرد والملموس، حيث أن أحد طرفي المقارنة يشار إليه فقط دون أن يذكر مباشرة، ويذهب ريجينر إلى أبعد من ذلك حيث يقول أن الرمز هكذا يقف وحده أمام القارئ الذي يعطي القليل أو لا يعطي أية إشارة عن الشيء المرموز إليه.[1]

[1] تشارلز تشادويك: الرمزية، تر: نسيم إبراهيم يوسف، الهيئة المصرية، 1992، ص39-41.

الفصل الأول

بين السيميائية والرمز

- المبحث الأول: ماهية السيميائية
- المبحث الثاني: ماهية الرمز

المبحث الأول: ماهية السيميائية.

- **السيميائيّة عند الغرب:**

أ- عند دو سوسير:

تستقل العلامة اللسانية بوصفها كيانا نفسيا عن إرادة الفاعل المتكلم، ولا تتحدد إلا ضمن المجال الموضوعي الذي يستطيع – حسب فرديناند دو سوسير Ferdinand de Saussure إلغاء كل تلك الفوارق التمييزية للمؤسسة اللسانية، ودمجها عبر مفهوم العلامة ضمن مجموع الأنساق الدالة، التي تختص بالدلالات على الأفكار. وعبر هذه الخصيصة يرتفع اللسان عن رتابة المدونة ليغدو شبيها بالكتابة، وبألفية الصم، البكم، وبالطقوس، وبأشكال الآداب، والإشارات العسكرية، إلخ. إن السيميائيّة التي تعنى بدارسة العلامة، تستمد من خصائص هذه الأخيرة وضعها ضمن الاقتصاد العام للعلوم بوصفها جزءا من علم النفس الاجتماعي، وتاليا فرعا من علم النفس العام. لذلك فهي تراهن على اللسان في فهم طبيعة الإشكالات السيميائيّة (...).

تقترن حياة العلامة بالخاصية الاجتماعية، فالعلامة لا توجد سوى داخل المؤسسة الاجتماعية إن دراسة العلامة اجتماعيا بالنسبة " لسوسير" تعني التقاط تلك الخصائص اللسانية التي تستطيع أن تصل اللسان بباقي المؤسسات الأخرى عبر جملة من القواسم المشتركة بين الأنساق، السيميائيّة عامةً والنسق اللساني خاصةً، لذلك فهو عندما يقرر بأن المشكل اللساني هو سيميائي قبل كل شيء، فهو يرى ضرورة الارتفاع بخواص المؤسسة السيميائيّة عن الخاصية الاجتماعية التي تبدو عامة (...).

ومن ثم فقد تنبه سوسير إلى أن الخاصية الاعتباطية للعلامة هي من الخصائص الأولية التي تستطيع أن تخص المؤسسات السيميائيّة بالتمييز عن باقي المؤسسات الاجتماعية (...).

لكنه من الواجب على السيميائيات، كما يراها سوسير، أن تطالب بحق تلك الأنساق السيميائيّة التي تتفلت من خاصية الاعتباط كالأنساق الرمزية مثلا.[1]

دي سوسير يرفض أن يتضمن تعريف العلامة عنصرا من خارج اللسان فالعلامة عنده تربط بين دال ومدلول (بين صورة سمعية وتصور ذهني) لا بين اسم وشيء. فلقد رفض بشكل قطعي في تعريفه للعلامة إدراج كل ما يمكن أن يشير إلى ما يسمى عنده بالمرجع، أي الشيء بصفة عامة.[2]

إن نظريته نظرية ثنائية هذا أمر مؤكد، فكل تحليلات سوسير تحليلات ثنائية الفروع دال ومدلول، لسان/كلام... إلخ.[3]

ب- عند بيرس:

إن العلامة عند بيرس وحدة ثلاثية المبنى غير قابلة للاختزال في عنصرين (...). والعالم بكافة أبعاده علامة، وكل عنصر داخل العلامة قادر على الاشتغال كعلامة أي قابلا للتحول إلى ماثول يسقط خارجه موضوعا عبر مؤول (...)، ويمكن تفسير هذا التصور من خلال خاصيتين تعتبران أساسيتين في تصور بيرس:

- **الخاصية الأولى:** تعود إلى كون السيميائيات عند بيرس ليست مرتبطة باللسانيات، فموضوع دراستها لا يُختصر في اللسان، ذلك أن التجربة الإنسانية (واللسان جزء منها) هي موضوع السيميائيات البورسية.
- **الخاصية الثانية:** تعود إلى نمط التصور الذي يحكم في فلسفة بيرس، العلامة الرابطة بين الإنسان ومحيطه. فهذه العلاقة تتميز بكونها غير مباشرة ويحكمها مبدأ التوسط، فالأشياء لا تدرك إلا رمزيا، أن تدرك باعتبارها جزءا من نسق العلامات (...)، وعلى هذا الأساس، فإن السيرورة السيميائيّة (حقل السيميوز) تستدعي الماثول كأداة

[1] عبد القادر فهيم الشيباني: المرجع السابق، ص 12-15.

[2] سعيد بنكراد: السيميائيات والتأويل، المركز الثقافي العربي، مكناس، دط، دت، ص 76.

[3] جيرار دولودال: السيميائيات أو نظرية العلامات، تر: عبد الرحمان بوعلي، دار الحوار، سوريا، ط1، 2004، ص49.

للتمثيل. وتستدعي الموضوع كشيء للتمثيل، وتستدعي مؤولا يقوم بالربط بين العنصرين، أي ما يوفر للماثول إمكانية تمثيل الموضوع بشكل تام داخل الواقعة الإبلاغية:

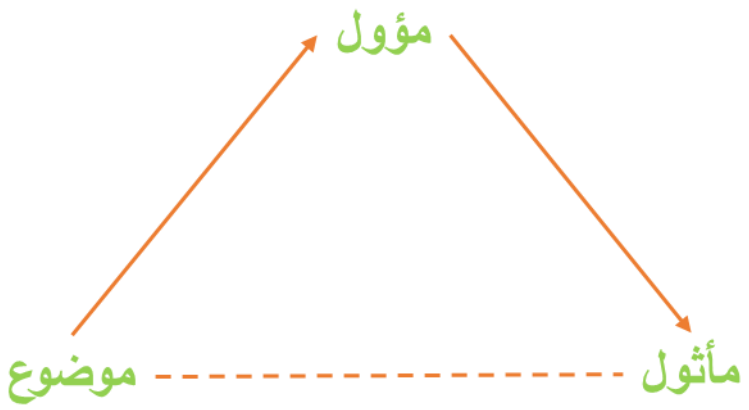

(الخط المتقطع يشير إلى أن العلاقة بين الماثول والموضوع ليست مباشرة).[1]

كتب بورس في لحظة من لحظات إشراقه المعرفي القصوى «لم يكن في وسعي أن أدرس أي شيء سواء تعلق الأمر بالرياضيات أو الأخلاق أو الميتافيزيقا أو الجاذبية أو الديناميكية الحرارية أو البصريات أو الكيمياء أو علم التشريح المقارن أو علم الفلك؛ أو علم النفس أو علم الأصوات أو الاقتصاد أو تاريخ العلوم، وكذا الويست (ضرب من لعب الورق) والرجال والنساء والمترولوجيا، إلا من زاوية نظر سيميائيّة» (...).

فالسيميائيات عنده نشاط معرفي شامل، إنها تهتم بكل ما تنتجه التجربة الإنسانية عبر مجمل لغاتها ومن خلال كل أبعادها. فهي رؤية للعالم تتلخص في النظر إلى الوجود الإنساني من خلال وضعه كعلامة في الكون. بل إن الكون ذاته ليس كذلك إلا في حدود اشتغاله كعلامة، فكل ما فيه من أشياء وكائنات وطقوس وأوهام وحقائق يشتغل كعلامة ويتسلل إلى الوجود الإنساني باعتباره كذلك. " إن الإنسان علامة، إنه علامة خارجية ويشكل جسده وأفعاله الوسيط المادي للإنسان/علامة ".

[1] سعيد بنكراد: والتأويل، المركز الثقافي العربي ، ص 76-77.

ولهذا السبب فإن جذور السيميائيات عنده ممتدة بشكل عميق في الأونيات الخاصة بالإدراك الإنساني (...).

إن المهم في سيميائيات بيرس ليس هو التصنيفات، ولا سجلات العلامة المتنوعة، إن المهم فيها هو تلك الروح التحليلية الجديدة التي تضمنتها من خلال تصورها لعمليات التمثيل وسيرورات التأويل التي تطلقها. فمن خلال هذه الروح فتحت المجال واسعا أمام تطوير توجه سيميائي جديد أعاد النظر في تركيبة الظواهر الإنسانية، وأعاد لها القدرة في مد شبكة من الارتباطات فيما بينها.[1]

ج- عند غريماس:

ونجد (غريماس) يعرف السيميائيات بقوله أنها: علم جديد مستقل تماما عن الأسلاف البعيدين، وهو من العلوم الأمهات ذات الجذور الضاربة في القدم، فهي – أي السيميائيّة – علم جديد، وهي مرتبطة أساسا بـ «سوسير» وكذلك بـ " بورس " الذي نظر إليها مبكرًا، ونشأ هذا العلم في فرنسا اعتمادا على أعمال "جاكبسون" و"هيم سيلف" وكذلك في روسيا (...) وهذا في الستينات (فيصل الأحمر) فَ "غريماس" " ينفي وجود أية محاولة في علم السيمياء قبل "دو سوسير" و"بورس"، كما يرى أن لأفكار "جاكسون" دورا كبيرا في بلورة هذا العلم الحديث.

والسيميائيات عند كل الغربيين هي العلم الذي يدرس العلامات، وبهذا عرفها كل من "تودوروف" و"جوزيف" و"غريماس" و"جويا كريستيفا" و" عصام خلف".[2]

[1] سعيد بنكراد: السيميائيات، مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة الفنون والآداب، الكويت، 35، مارس 2007، ص 30-37.

[2] فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط 1، 2010، ص 17.

- **السيميائيّة عند العرب:**

1- مصطلح سيمياء واستعمالاته العربية القديمة:

أ-لغة: ورد في قاموس «ابن منظور» أن: «السيمياء: العلامة: مشتقة من الفعل «سام» الذي هو مقلوب «وسم» وهي في الصورة «فعلى» يدل على ذلك قولهم: سمة، فإن أصلها: «وسمى» ويقولون: «سيمى» بالقصر، وسيماء بزيادة الياء وبالمد، ويقولون «سوم» إذا جعل «سمة»(...) قولهم: سوم فرسه؛ أي جعل عليه السمة، وقيل: الخيل المسومة، هي التي عليها السيمة، والسومة وهي العلامة ».[1]

هذا فيما يتعلق بالتعريف المعجمي لمصطلح «سيمياء» والذي وجدنا أنه يعني علامة مما يجعلنا نرى أن هناك تقارب في المفاهيم والمصطلحات بين العرب والأمم الأخرى.

أما في القرآن الكريم فقد وردت لفظة «سيمياء» دون ياء في عدة مواضع، كقوله تعالى:﴿ **سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ** ﴾**(سورة الفتح، الآية 29).**

وقوله أيضا: ﴿ **يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ** ﴾ **(سورة الرحمن، الآية 41).**

كذلك قوله تعالى: ﴿ **وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ** ﴾ **(سورة الأعراف، الآية 48).**

ومنه نلاحظ أن الدلالة التي حملتها هذه اللفظة في القرآن الكريم، هي نفسها الدلالة التي ذكرها «ابن المنظور» وهي «العلامة».

ب-إصطلاحا: لقد تعددت استعمالات مصطلح «سيمياء» كعلم عند العرب قديما، فهذا «ابن سيناء» في مخطوطة له بعنوان: «كتاب الدّر النظيم في أحوال علوم التعليم» وفي فصل تحت عنوان: «علم السيميا» يقول: «علم السيميا علم يقصد فيه كيفية تمزيج القوى التي في جواهر العالم الأرضي ليحدث عنها قوة يصدر عنها فعل غريب، وهو أيضا أنواع».

[1] ابن منظور: لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، دط، 2003، ص 308.

ويواصل «رشيد بن مالك» ذكره لما ورد تحت هذا العنوان من هذه المخطوطة لـ «ابن سيناء»، فيذكر تلك الأنواع وهي " متعلقة بالحركات العجيبة التي يقوم بها الإنسان وبعضها متعلق بفروع الهندسة، أما البعض الآخر فمتعلق بالشعوذة ".[1]

2- أهم الإشارات السيميائيّة عند العرب القدامى:

أ-الجاحظ وإشاراته إلى العلامات غير اللغوية:

يرى «الجاحظ» أن اللغة هي: «أداة نقل المعرفة طالما أن حاجة الناس إلى بعض صفة لازمة في طبائعهم».

أما وظيفة اللغة فهي الانتقال من «معرفة الحواس إلى معرفة العقول»، أما في مسألة المعاني والألفاظ فيقول: «أن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية، وممتدة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني (...) محدودة، وجميع أصناف الدلالات على المعاني (...) خمسة أشياء، لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال، تسمى نصبة، والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ولا تقتصر على تلك الدلالات»، فهو هنا يفضل اللغة على باقي العلامات الأخرى.

أما في مسألة طرائق الإشارة وعلاقاتها باللفظ وما ينجُم عن ذلك من دلالة، فيقول «الدلالة باللفظ، فأما الإشارة فباليد وبالرأس، وبالعينين والحاجب، والمنكب إذا تباعد الشخصان وبالثوب والسيف وقد يتهدد رافعا السوط والسيف فيكون ذلك زاجرًا رادعًا ويكون وعيدًا وتحذيرًا (...) والإشارة واللفظ شريكان ونِعم العون هي له، ونِعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تغني عن الخط». أما البيان عنده «فمرادف للدلالة»، وهو ما يكشف الغموض، سواء كان لغةً أو غير ذلك، لذلك نجده يقول: «ومتى دلَّ الشيء على معنى فقد أخبر عنه وإن كان صامتا، وأشار إليه، وإن كان ساكتا، فهذه هي الدلالة، كل ما يوصل إلى معنى معين، ومعروف أن السيميائيات تبحث في أنساق الدلائل كلها ».[2]

[1] فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص30-31.

[2] المرجع نفسه، ص32-33.

ب- الجرجاني وآراءه حول العلامات والتحول الدلالي:

لعل أهم ما يمكن أن نعثر عليه من أفكار سيميائيّة عند صاحب نظرية النظم، والذي تجاوز بها مقولة اللفظ والمعنى، حديثه عن اعتباطية العلامة اللغوية: « فألفاظ اللغة عنده ليست إلا مجرد علامات وسمات دالة على المعاني (...) فيمكننا أن نستبدل علامة بعلامة للدلالة على نفس المعنى » والكلام عند « الجرجاني » على ضربين : « ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن « زيد » مثلا بالخروج عن الحقيقة، فقلت « خرج زيد » وبالانطلاق عن « عمرو »، فقلت: « عمرو منطلق » وعلى هذا القياس ضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض وحده ولكن يدلك اللفظ على معناه الطي يقتضيه موضوع في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة تصل بهذا إلى الغرض، ومدارها هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل ».

هذا وتحدث «الجرجاني» في دلائل الإعجاز عن المعاني النفسية والترتيب، وكيف تساهم هذه الأشياء في تغيير الدلالة، كما أشار إلى أن الدلالة لا تأتي من الجانب الشكلي المكتوب فقط، وإنما للسياق دور مهم جدا في الكشف عن الدلالات الخفية.[1]

ج- مفهوم الدلالة عند «ابن عربي»:

المعروف عند «ابن عربي» والمتصوفة بعامة، هو نظرتهم الشمولية للكون، فهو يتعامل مع حروف اللغة كما يتعامل مع كل الموجودات ويجعل: «مراتب الوجود الثماني والعشرين تساوي عدد الحروف الثمانية والعشرين، وينظر إليها من خلال ثنائية الباطن والظاهر».

وأكيد كما يوضح «ناصر حامد أبو زيد» أن هذه النظرة سيطبقها علم الكلمات «دلالة الكلمات لها جانبان: جانب دلالتها الإلهية القديمة وجانب دلالتها البشرية الحادثة، الدلالة في الحالة الأولى من حيث الباطن ذاتية، بمعنى أن الدال هو المدلول، أما الدلالة في الحالة

[1] فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص 33.

الثانية فهي دلالة عرفية وضعية اعتباطية» هذا ونجده يميز بين مراتب ثلاث أساسية في الوجود وهي:

- **وجود لا بشرط شيء:** وهو عالم المطلق، الذي لا يصح اشراطه حتى بشرط الإطلاق نفسه، وهو الله الذي هو وجود في ذاته ولذاته ومن ذاته.
- **وجود بشرط شيء:** وهو عالم الكائنات، والأشياء باعتبارها مقيدة بحدود الزمان والمكان المادة.
- **وجود بشرط لا شيء:** وهو وجود كلي ومطلق بالقياس إلى الوجود بشرط شيء (عالم الموجودات).

وقد قدم الدكتور «لحميداني» لشرحه هذه المراتب جدولا، يقارن ويماثل من خلاله بين آراء أو مراتب الوجود هذه عند «ابن عربي»، ومقولات كل من «أفلاطون» في الوجود و «بورس» في الدلالة، وهذا الجدول موضح لهذه القضية، لذا آثرنا إيراده كما هو عند «حميد لحميداني»:

أفلاطون	(الوجود الطبيعي) المثال	عمل الصانع	عمل المصور
ابن عربي	وجود لا بشرط شيء	وجود بشرط شيء	وجود بشرط لا شيء
بورس	الأولانية	الثنيانية	الثالثية

ويشرح «لحميداني» الفرق بين كل من «ابن عربي» و«بورس» وهو أن «بورس» يحاول أن ينقل النموذج الصوفي للوجود ليطبقه (...) على عالم الدلائل؛ أي أنه حول دراسته من الفلسفة إلى السيميوطيقا، بينما احتفظ «ابن عربي» بالنظام الفلسفي الصوفي، وترك نظام الدلائل يحتل فيه مكانته الخاصة دون عزله عنه.[1]

وفي خلاصة لعادل فاخوري حول «السيمياء عند العرب» يقول:

تأثر العرب بالمدرستين: المشائية والرواقية، في مجال علم الدلالة (الفرابي وابن سينا). وقد انْوجدت السيمياء في علوم المناظرة والأصول والتفسير والنقد.

[1] فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص34-35.

وهي تعود إما إلى حقل المنطق أو حقل البيان، فالدلالة عند العرب القدامى تتناول اللفظة والأثر النفسي، أي ما يسمى بالصورة الذهنية والأمر الخارجي، أما الكتابة فهي تدخل بعين الاعتبار، إذ أنها دالة على الألفاظ، لكن دورها هذا ليس ضروريا عند ابن سينا خلافا لأرسطو، وابن سينا لا يستثني الأمر الخارجي (المرجع) من العلامة اللفظية، مع هذا نجد «يحي العلوي» يقترب من موقف دي سوسير.

يقول «العلوي» بأن: "الحقيقة في وضع الألفاظ، إنما هو للدلالة على المعاني الذهنية دون الموجودات الخارجية ".

وفي نهاية كتابه " علم الدلالة عند العرب " يصل عادل فاخوري إلى خلاصة تقول: " المساهمة التي قدمها المناطقة والأصليون والبلاغيون العرب مساهمة مهمة في علم الدلالة، انطلاقا من المفاهيم اليونانية، وقد كانت محصورة ضمن إطار الدلالة اللفظية ".

وتوصل العرب إلى تعميم أبحاث الدلالة على كل أصناف العلامات.

ومن الواضح أنهم اعتمدوا الدلالة اللفظية نموذجا أساسيا كذلك، فأقسام العلامة عند العرب قريبة من تقسيم بيرس، وتبقى أبحاثهم التي تتناول تعيين نوعية دلالة الألفاظ المركبة أو بوجه عام العلامات المركبة وتحليل الدلالة المؤلفة من تسلسل عدة توابع دلالية، مدخلا جديدا ذا منفعة قصوى للسيمياء المعاصرة.[1]

[1] ميشال آريفيه وآخرون، السيميائيّة وأصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك، الصندوق الوطني لترقية الآداب والفنون وتطويرها، الجزائر، دط، دت، ص 25.

المبحث الثاني: ماهية الرمز

❖ **ماهية الرمز:**

- **الرمز – لغة:**

لقد تعددت المعاجم اللغوية التي تناولت معنى " رمز " فقد ورد في لسان العرب:

الرمز هو تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ غير إبانة الصوت إنما هو إشارة بالشفتين وقيل: الرمز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين. والرمز في اللغة كل ما أشرت إليه. مما يُبان بلفظ بأي شيء، أشرت إليه بيد أو بعين، ورمزَ يرْمُزُ رَمْزًا.[1] وفي الترتيل العزيز في قصة زكريا، عليه السلام ﴿ **قالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً** ﴾ **(آل عمـران، الآية 41).**

أما في مصطلح ((قاموس المحيط)) فلفظة "رمز" تعني (الإشارة، أو الإيماء بالشفتين أو العينين أو الحاجبين أو الفم أو اليد أو اللسان).[2]

نستنتج من خلال هذا القول أن الرمز في لغة العرب هو الإشارة، فهي بذلك طريق منطق الدلالة، فقد تصحب الكلام فتساعده على الإيضاح والبيان لأن حسن الإشارة باليد أو الرأس من تمام البيان.

- **اصطلاحا:**

إن استخدام الرموز يعود بالرواية العربية إلى زمنها الغابر وأصالتها، فيبعث بها الروح من جديد، ويصل ماضيها بحاضرها ويجعل الحاضر منتميا إلى جذوره التاريخية زرعا متواصلا في أرض معطاءة. ومنه يعرف الرمز اصطلاحا:

الرمز عند أرسطو:

يعد أرسطو أقدم من تناول ((الرمز)) على أساسه، وعنده أن الكلمات رموز لمعاني الأشياء أي رموز لمفهوم الأشياء الحسية أولا ثم التجريدية المتعلقة بمرتبة أعلى من مرتبة

[1] ابن منظور: المصدر السابق، ج 4، ص242.

[2] الفيروز آبادي: القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، دط، 2008، ص 669.

الحس يقول: «الكلمات المنطوقة رموز لحالات النفس، والكلمات المكتوبة رموز للكلمات المنطوقة ».[1]

أما وبستر فيحدد الرمز بأنه: «ما يعني أو يومئ إلى الشيء عن طريق علاقة بينهما، كمجرد الاقتران، أو الاصطلاح، أو التشابه العرض غير المقصود».

وواضح أن كثيرا مما أدرجه ((وبستر)) تحت مفهوم الرمز ليس رمزا بالمعنى الأدبي، لأن الاصطلاح أو التلاقي العرضي يفقده القيمة الإيحائية المشروطة في الرمز، إذ ينهض الرمز على علاقة باطنية وثيقة تربطه بالمرموز، وهي علاقة أعمق من مجرد التداعي أو الاصطلاح نحو التشابه الظاهري، وكذلك يعقب الناقد الأمريكي ((وليم يورك تندال)) على رأي ((وبستر)) هذا بأنه أكثر عمومية ووضوحا من أن يلائم أذواق المتخصصين.

وربما كان ((جوته)) أول من حدد بطريقة أدبية وحديثة مفهوم الرمز (سنة 1797)، إذ يصف انطباعاته أثناء إحدى زياراته لفرانكفورت مقررا أنه فوجئ بمشاعر خاصة وغريبة، وأليفة، أحس بها إزاء بعض الأشياء التي يصفها بأنها رمزية.

ويعرف الرمز على أنه امتزاج للذات بالموضوع والفنان بالطبيعة فإنه يكون منطقيا مع نزعته المثالية التي ترد العالم الخارجي إلى رموز للمشاعر وترى في الطبيعة مرآة للشاعر، وظاهرة ينفذ منها إلى قيم ذاتية وروحية...[2]

أنواع الرموز:

إن الإنسان حين لا يجد وسيلة يعبر بها عن حالة شعورية إزاء موقف معين يتخير شكلا حسيا يكون قادرا على التعبير عن حالة أو نقلها من الداخل إلى الخارج أو خلق بديل موضوعي يعادلها، وبهذه المعاني الثلاثة يتصف الرمز أول نقلها من الداخل إلى الخارج أو خلق بديل موضوعي يعادلها. وبهذه المعاني يتصف الرمز بأنه ليس صورة مباشرة وإنما هو ضرب من الرؤية والحدس.

[1] محمد فتوح أحمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، مصر، دط، 1977، ص36.

[2] المرجع نفسه، ص35-39.

فالرمز وسيلة اتخذها الأدباء المعاصرون للتعبير عن رغباتهم وأحاسيسهم، واستخدموه في مختلف أغراضهم بمختلف أنواعه.

ومن أهم أنواع الرمز:

- الرمز الأسطوري:

إن ثمة علاقة وثيقة بين الرمز والأسطورة " فكلاهما شكل توسل به الدين والفن والغناء وكل الأنماط الانفعالية التي نبعث من جذر واحد في القديم وعبّر به الإنسان البدائي تعبيرا حرفيا عن واقع الموضوعات الخارجية على ذاته وعما يشعر به ويحس داخلها ".

إن الأسطورة في أصلها رمز لقوى الطبيعة المختلفة والظواهر الكونية المحيطة بالإنسان، أصبحت تشكل معتقدا دينيا عنده عبر جاهليته منذ وجوده على الأرض ولسنا هنا بمعرض استحضار التعريفات المختلفة التي وضعها العلماء لمفهوم الأسطورة من زوايا فكرية وعلمية مختلفة، لكن سنحاول توضيحها من وجهة النظر الفنية. في البدء كانت الأسطورة رمزا مبتكرا ثم أصبحت عُرفا اجتماعيا دينيا تبناه الجماعة وتؤمن به.[1]

إنها تعالج " ... مشكلات الوجود على أن نوسع من دلالة الكلمة حتى تشمل.

فالأسطورة دين ميت. ومن هنا فإنني أختلف مع يونج الذي نظر إليها على أنها تعبير رمزي عن مشاعر مجتمع ما، وعن رغباته المكبوتة في اللاوعي الجمعي، مثلها في ذلك الحلم بالنسبة للفرد، فالحلم أسطورة فردية إن صح التعبير يكشف عما يستتر في اللاوعي من رغبات. " فهي أصل نشأتها لم تعبيرا عن الجماعة، لكنها أصبحت فيما بعد تعبيرا على حلم جماعي بمفهومه العام لا كما فهمه أصحاب المذهب الفرويدي في التحليل، فلا أراد ذلك كما فعلوا إلى الرغبات الجنسية المكبوتة خاصة.

[1] إيمان محمد أمين ، خضر الكيلاني: بدر شاكر السياب: دراسة أسلوبية لشعره، دار وائل، عمان، ط 1، 2008، ص30.

فهي في الأصل خرافة دينية صدرت عن فرد اتخذت فيما بعد وسائلها في التوثيق حيث أنها رسّخت على أنها حقائق مورثة فظهرت في الفنون الشعرية والتماثيل والرسوم وغير ذلك، لتعبر عن حلم الإنسان وتصوراته لما حوله من عناصر الوجود وعلاقاته الشائكة.[1]

- الرمز الديني:

لا نكاد ننكر أهمية " الدين " للإنسان فهو مصدر أساسي يستقي منه جُلَّ الأدباء والروائيون موضوعاتهم وصورهم، وشخصياتهم الدينية، حيث تباينت نظرتهم إلى الدين الإسلامي ولجأوا إلى القرآن وإلى قصصه، واستلهموا منه رموزا خالدة، فالقرآن خالد وصالح لكل الأزمنة والأمكنة ومنه ف((قد كان التراث الديني في كل العصور ولدى كل الأمم مصدرا سخيًّا من مصادر الإلهام الشعري، حيث يستمد منه الشعراء – والروائيون – نماذج وموضوعات وصور أدبية، والأدب العالمي حافل بالكثير من الأعمال الأدبية العظيمة التي محورها شخصية دينية أو موضوع ديني، أو التي تأثرت بشكل أو بآخر بالتراث الديني (...) فلم يكن غريبا إذا أن يكون الموروث الديني مصدرا أساسيا من المصادر التي عكف عليها – الأدباء – المعاصرون واستمدوا منها شخصيات تراثية عبّروا من خلالها عن جوانب من تجاربهم الخاصة))[2].

- الرمز الطبيعي:

إن الطبيعة بديعة مختلفة ومتنوعة باختلاف ألوانها وأشكالها، مما تستدعي وتدفع الإنسان إلى تأملها والتعايش مع عواصفها ورعودها وزلازلها وكل التغيرات التي تطرأ عليها، فهو ابن الطبيعة وجزء منها، وإن كان يسكنها ويجاورها فما يمنعه أن يأخذ منها ؟.

ومنه فالروائي يلجأ إلى الطبيعة ويرمز بما يراه فيها من أرض وسماء، وتراب وعواصف ورياح، ورعد وليل وأشجار زيتون وصفصاف وورود...

[1] إيمان محمد أمين خضر الكيلاني: بدر شاكر السياب: دراسة أسلوبية لشعره ، ص31.

[2] علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، دط، 1997، ص75-76.

فهذا يوسف وغليسي اختار شجرة الصفصاف التي مدت جذورها في تربة إبداعاته رمزا ﴿(حتى لا نكاد نراه متسربلا بالصفصاف....)﴾[1].

- الرمز التاريخي:

يعد الرمز التاريخي من الرموز التي يكثر استعمالها من قبل الأدباء وذلك بالرجوع إلى الأحدث التاريخية سواء أكانت عالمية أو وطنية، ومن الواجب على القارئ أن يكون ملمًا ومطّلعًا على هذه الأحداث، فالتاريخ ليس مجرد وقائع وأحداث مضت وانتقلت عبر حقّب زمنية بل هو عبارة عن تجارب إنسانية تنبض بالحيوية، والأديب أو المثقف هو الذي يمكنه الاستفادة من هذه التجارب.

ومنه فالرمز التاريخي هو ملجأ الأدباء والكتاب حيث استلهموا من أحداثه وشخصياته ووظفوها في كتاباتهم وإبداعاتهم وعبروا بواسطتها عن آرائهم ومواقفهم.

ومنه فالأديب المعاصر (يستغل الشخصية التاريخية بما تشتمل عليه من قابلية للتأويلات المختلفة في التعبير عن بعض جوانب تجربته، ليكسب هذه التجربة نوعا من الكلية والشمول، وليضفي عليها ذلك البعد التاريخي والحضاري (...) وبالطبع فإن الشاعر اختار من شخصيات التاريخ ما يوافق طبيعة الأفكار والقضايا والهموم التي يريد أن ينقلها إلى المتلقي).[2]

[1] نسيمة بوصلاح: تجلي الرمز في الشعر العربي المعاصر، إصدارات رابطة إبداع الجزائر، 2002، ص106.

[2] علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية ، ص 120.

الفصل الثاني

التوظيف الدلالي والرمزي في رواية باطن الهواء

- المبحث الاول: التوظيف الدلالي في رواية باطن الهواء
- المبحث الثاني: توظيف الرموز في رواية باطن الهواء

المبحث الأول: التوظيف الدلالي في رواية "باطن الهواء."

1- الدلالة ومفهومها:

"أثبتت السيميائيات – التي تعد علما يهتم بدراسة تمفصل الدلالات وأشكالها وتداولها. قدرتها على اكتناه فضاء النسق الأدبي واستجلاء مكامن دلالته الخفية في مختلف النصوص الإبداعية وقد تبلور بعد صراعات منهجية وقرائية للطرح القديم مسارًا مغايراً أكثر شمولية واتساعاً مما كانت تدعوا إليه السيميائيات المحايسة، فمن انغلاق الدلالة المترسبة داخل النص إلى البعد التداولي وما ينتج عن تلك العلاقة التواصلية بين النص ومتلقيه".[1]

"تحيل الدلالة على مفهوم رئيسي في تصور العلاقات بين الحدود المنتجة للقيم المضمونية وتداولها، ويتعلق الأمر بـ "السيرورة" فلا يمكن تصور "كم معنوي" خارج مدار سيرورة تتمحور حول مفهوم العلاقة باعتبارها الحد الأساس في إنتاج أي نشاط دلالي، وعلى هذا الأساس فإن مفهوم الدلالة مفهوم مركزي ينتظم حوله النشاط السيميائي في مجمله" .

فالدلالة ليست معطى جاهزًا بل هي حصيلة روابط تجمع بين أداة للتمثيل وبين شيء يوضع للتمثيل ضمن رابط ضروري يجمع بين التمثيل وما يوضع للتمثيل، أي ما يضمن الإحالة استقبالا على نفس الموضوع في حالاته المتنوعة".

ومنه " لعل أكثر استعمالات الرمز شيوعًا هي تلك التي تستند إلى صور تناظرية تربط بين وحدات مجردة وأخرى محسوسة، تنوب فيها الثانية عن الأولى وتقوم مقامها.

وفي هذه الحالة ينظر إلى الرمز باعتباره صورة دالة تستعمل للإحالة على مدلول يقابلها عن طريق العرف والتواضع (الميزان للدلالة على العدل والحمامة للدلالة على السِّلم ...) .

[1] شاطو جميلة: النزعة الأيقونية وتطبيقاتها في السيميائيات المعاصرة (مشروع السيميائيات وتحليل الخطاب الأدبي)، إشراف سنطبول ناصر، مخطوط رسالة ماجيستير، جامعة وهران، 2013، ص99 -103.

إن الرمز، من هذه الزاوية، يشير إلى الدلالات التي يمكن أن تتسرب في غفلة منا إلى الكلمات والأشياء والطقوس والحركات، إنه فعل يمنح الأشياء أبعادًا تخرجها عن دائرة الوظيفية والاستعمال إلى ما يشكل عمقا دلاليا يحولها إلى رموز لحالات إنسانية ".[1]

2- أنواع الدلالات الواردة فيها:

من خلال قراءتنا لفصول الرواية – في باطن الهواء – للروائية الفلسطينية ياسمين زهران، والوقوف والتأمل في أبرز عباراتها اكتشفنا مجموعة من الألفاظ تتفق مع بعضها في منحى معين، لتشكل بذلك دلالات وحقول تتضافر جهودها في بناء فصول الرواية معنى ومبنَى ومنه يمكننا استخلاص الدلالات الآتية:

أ- **دلالة العناصر الأصلية:** تعد المكون الرئيسي والعنصر الأساسي للقضية الفلسطينية، للدلالة على مكانة فلسطين الضاربة في جذور التاريخ على مر الزمن بتراثها العريق فهي مهد للحضارات، وأرض للرسالات، وموطن ميلاد الأنبياء (أرض كنعان، القدس، كنائس، عين القصر، الوادي ...).

ب- **دلالة الأديان:** لجأت " ياسمين زهران " إلى التراث الديني الإسلامي كسابقيها من الأدباء، فوظفته في عملها الأدبي كونها متشبثة بالثقافة الإسلامية، واتخذت من الدين وسيلة مهمة فذكرت مختلف الأديان والمذاهب نجد (التوراة، اليهودية، الأنبياء، الإله بعل، الإله حوريس ...).[2]

ج- **دلالة العرق:** عبارة عن تلك الدلالات التي توحي بأن فلسطين مهد للحضارات التي تعاقبت عليها عبر مرّ العصور بمختلف أجناسهم ودياناتهم وثقافاتهم المختلفة ونذكر منها :(الأتراك، الانجليز، اليهود، الاحتلال العثماني، آثار فرعونية ...).

[1] سعيد بن كراد: السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص 99 -103.

[2] ياسمين زهران: باطن الهواء، دار ميريت للنشر والمعلومات، ط1، 2001، ص 07 - 126.

د- **دلالة العمران:** وهي مجموع الدلالات الموجودة في ثنايا الرواية، والتي تمثل الهيئة والمظهر الخارجي والهندسة المعمارية، فهي تعبر عن طراز عمراني قديم في قلب قرى فلسطين :(القرية، المدن القديمة، عتبة الحوش، ساحة الحوش).

هـ- **الدلالة الز مكانية:**

1. **دلالة الزمان:** تعتبر دلالة الزمان في الرواية بمثابة معالم تاريخية تصبح عبر الزمن محطة أحداث مهمة في حياة الشعوب، وقد ترتبط هذه الحوادث بأزمنة متعددة مرَّت عبر العصور (ربع قرن، الحرب العالمية الأولى/الثانية، الأيام، الساعات، الليل والنهار).
2. **دلالة المكان:** تم من خلالها ذكر الأمكنة التي وردت في متن الرواية، التي تبرز دلالتها وذكر أهم الأماكن داخل القرى وفلسطين ومدنها الحديثة منها والقديمة لإيصال فكرة للقارئ حول الأمكنة التي عاش فيها الأهالي الفلسطينيين (حائط المبكى، الكهوف، المغاور، السراديب، أرض كنعان، الوادي، قرى، الساحل).

صورت لنا الروائية القرى الفلسطينية ومدى تشبث الأهالي بها رغم الظلم والاستيطان الذي ألحق بأراضيهم واستعمارها وتحويل ممتلكاتهم للعدو الصهيوني.[1]

[1] ياسمين زهران: باطن الهواء، ص 07 – 126.

المبحث الثاني: توظيف الرموز في رواية " باطن الهواء."

1- الرمز وأنواعه في الرواية:

مما لا شك فيه أن توظيف الرموز في الخطاب الأدبي يعطي للنص دلالات خصبة تحيلُه على موروث حضاري أصيل بانتماءاته، وزاخر ووافر بأفكاره، واستدعائها في اللحظة الراهنة يمثل التمسك الأصيل بالماضي الحافل بالصور المشرقة للأمة جمعاء، ومن أجل معالجة الحاضر وانكساراته ومحاولة إقناع المتلقي، بدلالات هذه الرموز مهما كان نوعها باعتبارها مستقاة من الديانة السماوية وبالأخص الديانة الإسلامية التي تشكل رافدًا كبيرًا في تكوينها الثقافي.

ولطالما كان الرمز "الذروة العليا التي يدركها الشاعر حين ينتقض من عقال الحواس، والمقارنة والشبهية ويقّدر له أن يعاين الحقائق الأولى بأم عينه الباطنية ".[1]

فلا تكاد تخلو كتابات معظم الأدباء والشعراء والروائيون من الرمز وتوظيفه واستخدامه والدافع إلى ذلك التوظيف هو التعبير عن سعة ثقافتهم وجعل المتلقي يبحر طويلا لفهم ومعرفة دلالات هذه الرموز الخفيّة مما أدى إلى بث الغموض في الشعر خاصةً والرواية عامةً وفي هذا الصدد نجد الروائية الفلسطينية "ياسمين زهران" توظف مختلف الرموز الثقافية المتنوعة للتعبير عن الحالة والظروف التي عايشها ويعيشها الشعب الفلسطيني إلى الآن.

أ-الرمز الطبيعي:

"يعتبر الرمز الطبيعي عنصر من أهم عناصر التصوير الرمزي، حيث يبرز للأديب رؤيته الخاصة تجاه الوجود، ويعمل على تخصيبها.

فالأديب فنان يعيش حياته في هذه الطبيعة ويستمد تجاربه الحياتية منها، ليمنح الحياة صورة ملائمة من خلال استكناه المعاني استكناها عميقا، فللكلمة صداها وفحواها

[1] إيليا الحاوي: الرمزية والسريالية في الشعر الغربي العربي، دار الثقافة، بيروت، 1980، ص116.

ومقدرتها على خلق عالم آخر ملائم للأديب مما يضفي على إبداعه نوعا من الخصوصية والتفرد.

فالرمز الطبيعي يتميز بالديناميّة والحيوية التي تزيد للمبدع حق التصرف الفني في هذا الرمز.[1]

ومنه استوعبت الروائية "ياسمين زهران" هذا الفهم للرمز الطبيعي حيث وظفت العديد من الرموز الطبيعية في روايتها "باطن الهواء" نجد :(الأرض، التراب، النجوم، القمر، الحجارة، الزيتون، البحر، العاصفة، الرياح ...).

- رمزية المطر والريح:

استدعى الأدباء رمز "المطر" الذي ضمّنوه دلالة الارتواء من ظمأ الحياة، وإعادة بعث الأمل والتفاؤل في الكائن الحي، إذ أن توظيف "المطر" كرمز في الواقع هو تعبير عن أمل الإنسان الذي لا يتحقق إلا بالعمل، وهو مصدر الراحة النفسية لأن فيه تنفيس عما علّق في القلب من جراحات ومتاعب. ولفظة "المطر" تنتمي إلى حملها الدلالي إلى دلالات كثيرة، واستعمالها في العمل الأدبي يحقق رونقا وجمالا.

لقد حاولت الروائية "ياسمين زهران" في رواية "باطن الهواء" الانزياح عن دلالة المطر، المتمثلة في الإرواء قصد الخصب والنماء إلى دلالة الطوفان الذي يعصف بالأشياء حيث تقول (وفجأةً هبت عاصفة شديدة ... ومع عويل الريح هطلت الأمطار فحاول كل منهم أن يلجأ إلى صخرة تحميه من المطر ... وقد أصابهم إعياء شديد من المطر والبرد ... فصب بعضهم اللعنات على هذا اليوم المشؤوم فقد بللت ثيابهم الغالية).

[1] رسول بلاوي، حسين مهتدى: الرموز الطبيعية ودلالاتها في شعر يحيى السماوي، مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد 2، صيف 1436هـ ، ص187.

حيث دلّت توظيف كلمة "مطر" في الرواية على التشاؤم والحزن والهلع والخوف الذي حلَّ بأهل القرية في ذلك اليوم المشؤوم....

وهكذا يمكن لمتتبع الرمز أن يقف على كثير من الرموز الخاصة التي تأخذ دلالة الخصوص أحيانا ودلالة الهموم مرة أخرى، فهذه التقاطعات الرمزية ترجع أساسا إلى تقاطع في الطبيعة النفسية، والتوجه الروحي بين المبدعين.

ومن الرموز الطبيعية التي وظفتها "ياسمين زهران" أيضا رمز "الريح" الذي يعد عامل طبيعي مهم يؤثر في الطبيعة من شأنه أن يغيّر أو يهدم والأدباء في توظيفهم "للريح" لم يخرجوا عن هذا المفهوم والدلالة وسنقف عند ما ذكرته الروائية في نص الرواية :(وعندما توغلوا في الوادي، ووصلوا إلى باطن الهواء فجأة شعروا بهبوب الريح فصاحوا متضاحكين ألسنا في – باطن الهواء – ؟. إنه الهواء يشعرنا بوجوده في بيته، وفجأةً هبت عاصفة شديدة ... فتفرق المشاة وهم ينادون ... ولكن لم يسمع أحدهم نداء الآخر لزمجرة الهواء).

فالريح في نفسية الروائية الفلسطينية "ياسمين زهران" وكأنه خرابًا يعيش فيه البوم، وعلى أنّه يوم للتشاؤم والنفور الذي يحيل على غضب الطبيعة المخيف متمثلاً في مظاهرها الأخرى كالمساء والظلام والعاصفة وغيرها ومعاناة المشاء في هذا المخاض العسير.[1]

– رمزية القمر:

لقد اتّخذ جل الأدباء من "القمر" أداة تحمل عدة دلالات ومعاني، فلطالما كان "القمر" هو المشبه به المثالي في وصف محاسن المحبوبة، والمؤنس الوحيد في ليالي الظلمة الحالكة والأرق والسهاد الدائم، ومنه انتقل من مجرد رمز طبيعي إلى رمز يوحي بدلالات عدة تقول "ياسمين زهران": (...وحيدة مع الانكسار والظلام ، تجلس أمام الطاقة تنتظر القمر...وعندما يبدو في السماء ترتعش فرحًا وتناديه هلاَ هلاَ... وتبقى شاخصة تحدق فيه... في بعض الأحيان تشتكي له).

[1] ياسمين زهران: باطن الهواء، ص11.

تدل لفظة "القمر" غالبا على الجمال والنور، فإن ذلك الضوء الذي ينبعث منه يكسر هيبة الليل الموحشة وظلمته وهذا ما ذهبت إليه "ياسمين زهران" حيث وظفت دلالة القمر في روايتها على أنه جانب معنوي أثار حياة "ريا" وآنس وحشتها ووحدتها القاسية في غياب "أمها" و"ربيع" فأصبح القمر بمثابة رفيق دائم لها يواسيها ويستمع إلى حديثها فقد كانت تشتكي له، فتوظيف رمز "القمر" هنا كناية عن شدة الوحدة والغربة.[1]

ب- الرمز الأسطوري:

يعتبر الرمز الأسطوري أكثر شيوعًا في الأعمال الأدبية العربية ذلك أنه يكشف عن دلالات متنوعة يحظرها الأديب من منابع عدة، بعضها من الحضارات اليونانية وبعضها من عمق التراث العربي القديم.

فللأسطورة سلطة كبيرة عن عقول الناس ونفوسهم فهي تعد كأنها حكاية مقدسة من الأجيال الماضية ذات مضمون عميق يحيل عن معاني ذات صلة بالكون والوجود وحياة الإنسان.

تفيد الأسطورة على الغالب "الحادثة القديمة المحفوفة بالمبالغات حتى الخرافات أحيانا، وتفيد أيضا الأقاويل المنمقة المزخرفة التي لا نظام لها، حتى أنها تشبه الكلام الباطل، وهي تتناول مختلف النشاطات الاجتماعية من أدبية، وحربية، وصناعية، ودينية وقد وردت في اللغة الفرنسية بمعنى الحادثة Histoire وفي اللغة الإنجليزية بمعنى التاريخ History، وقد ورد تفسير آخر للأسطورة في اللاروس تحت كلمة "Légende" أنها خبر تاريخي أو حكاية تاريخية بالغت فيها المخيلة الشعبية أو الابتكار الشعري".[2]

ومنه فقد وظفت الكاتبة "ياسمين زهران" عدة أمور أسطورية نذكر منها:

[1] ياسمين زهران: باطن الهواء، ص 52.

[2] حسين الحاج حسن: الأسطورة عند العرب في الجاهلية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، 1998، ص 17-18.

– **صندوق العروس:** يعتبر شيء من التراث حرست أمهاتنا وجداتنا على توفره في جهازها عندما تنتقل إلى بيت العريس، وهو عبارة عن صندوق كبير يحوي جهاز العروس من ثياب وعباءات ومجوهرات وأفرشة وغيرها.

ركزت الروائية الفلسطينية "ياسمين زهران" في روايتها على صندوق العروس والتي أولت له فصل من الرواية حيث يعد جزء من التراث الفلسطيني فهو شيء ثمين لأهل العروس، يدل على مقامهم ورقيهم ومكانتهم بين العشائر والأنساب حيث تقول :(...وكان الناس يتفاخرون بصندوق العروس، ويتفننون في نقوشهم...).[1]

– **أسطورة البغل:** يستعمل هذا الحيوان قديما كوسيلة لحمل الأشياء ونقلها والحرث وغير ذلك، فاختارته الروائية وجعلته في الرواية :(وفي اليوم المحدد لنقل الجهاز... ذهبوا المشاة ما عدا خال العريس الذي امتطى بغله حيث سيحمل الصندوق في العودة الى القرية... وبعد القهوة حمّل أهل العروس الصندوق الثقيل على ظهر البغل...).

وفجأة حين عودتهم بالصندوق إلى القرية هبت عاصفة شديد ضاع إثرها البغل في باطن الوادي وكان معلق على رقبته جرس فحاول خال العريس اقتفاء أثره لكنه لم يستطع العثور عليه بسبب الضباب (...اشتدّ الضباب بكثافة.. حتى خيمت على الوادي شبه ظلمة، أجبرت خال العريس على عدم متابعة رنات الجرس...).

ظنّ الخال أن البغل يعرف الطريق وسيعود إلى المنزل، لكن عند هدوء العاصفة لم ير البغل وعند وصوله إلى القرية سمع جماعته يتساءلون عن البغل (ويحك أين البغل؟ ألم يره أحدكم؟...).

ومن ثمة اجتمع أهل القرية وخرجوا إلى الوادي للبحث عن البغل المفقود المحمّل بصندوق العروس إلاّ أنهم لم يجدوا له أثر حيث تقول الرواية :(انتشرت المجموعة في جوف الوادي، وفي سفوحه ولكنهم لم يعثروا عن البغل...).

[1] ياسمين زهران: باطن الهواء، ص 11.

ظنّ أهل العريس أن البغل سُرق بسبب حمولته الباهظة والثمينة، ففتشوا في القرى لكن بدون فائدة :(وكان بعضهم يقول إن البغل سُرق بحمولته الثمينة...).

فضياع البغل وتّر العلاقة بين أهل العريس والعروس، ولاَم العريس خاله بسبب تضييعه البغل وهذا أثار غضب وسخط الخال، فطلب ثمن بغله الضائع لأنه مصدر رزقه.

مرت الأيام والسنين وعاد أهل القرية إلى مهنة التحطيب وفي أحد الأيام ذهب حطاب من أهل القرية ليحتطب فكان عليه قطع الوادي أولا وفجأةً عصفت عاصفة فاحتمى تحت صخرة ومنه لم يعد يره بغله لكن، سمع صوت جرس من بعيد وظهر أمامه بغل !! محمل بصندوق مزَوق!! (...وفي ذات يوم عاد الحطاب يقطع...بوهت الحطاب بهبوب عاصفة... ولم يعد يرى بغله، فالتجأ إلى صخرة كبيرة، وفجأة سمع رنين جرس من بعيد... حتى وجد أمامه بغلا محملا بصندوق خشبي).

عاد الحطاب إلى القرية ومعه البغل المحمل بالصندوق كبرت القصة وساد الهرج والمرج واجتمع الأولاد بالحطاب وأصروا عليه أن ينزل الصندوق ويفتحه، لكنه رفض وبدأ يطلق في الشتائم عليهم لكن لم ينفع ذلك ففتحوا الصندوق واندهشوا وجدوه مليء بالثياب ومفارش وحلي جديدة، سرعان ما وصل كبار القرية ومختاروها فوجئوا عندما رأوا الثياب فصاح أحدهم قائلا: إنه صندوق العروس الذي اختفى منذ ربع قرن وأخذ يسأل عن البغل:(...أين وجدته ؟ وأين البغل ؟...).

وأصبح "البغل" أسطورة يتكلم عنها أهل القرية وحتى القرى المجاورة حيث أنه لم تظهر عليه علامات المرض أو الكبر وهو محمل بصندوق ثقيل لمدة "ربع قرن" حيث تقول ياسمين زهران: "ووقف الناس في حلقات حول القصة التي حدثت قبل خمس وعشرين عاما وفجأة تذكروا البغل،...وعجبوا كيف لا تظهر عليه علامات الإعياء والشيخوخة).[1]

[1] ياسمين زهران: باطن الهواء، ص 11 – 22.

- **السبع برمبوس:** وهو رمز أسطوري من الحكايات القروية تم توظيفه في الروائية حيث تقول ياسمين زهران: (...فإذا اقترب منه جندي إسرائيلي قال له متهكما "تعال يا سبع البرمبس").

فسبع البرمبس هو دليل على التهكم بالشخص وتصرفاته والاستهزاء به لإثارة غضبه، ذلك أنه يحمل صفات غير مرغوب فيها.

- **ملك الجان:** تطرقت الروائية إلى عالم آخر، غير عالم الإنس، فوظفت أسطورة من أساطير عالم الجن، فكان نصف جسده ذهب والآخر فضة، حيث جعلت منه الكاتبة "ياسمين زهران" الأم الحنون على "ريا" يمدها بالحنان والدفء والعطف وتقول في متن الرواية: (...إنه لن يراني فالإنس لا يرون الجن، أنت ترينني لأني أردت ذلك، أردت أن أعطيك عطفي وحمايتي).

ورغم كره الجن للإنس إلاّ أن ملك الجان لَبَّى دعوة "ريا" ورغبتها وندائها كونها غريبة ووحيدة في بيت والدها تقول (...ظهر أمامها ملك الجان بكامل بهائه "هذا أنا يا حبيبتي الإنسية...لقد ناديتني فلبيت النداء...).

كان لظهور "ملك الجان" أثر كبير في نفس "ريا" حتى أنها أصبحت تائهة طوال الوقت ترتقب وصول الليل لرؤية ملك الجان والتواصل معه لنسيان همومها (... لم تنم ريا منذ ظهور ملك الجان، فقد أصيبت بذهول...وملك الجان مس شغاف قلبها...).

أراد ملك الجان أن يقدم يد المساعدة لـ "ريا" مقابل شرط وهو أن لا يراه أحد من الإنس وإن رأوه فستدفع ثمن ذلك: (لقد حان الوقت أن تطلبي مني ما تريدين على شرط واحد... صاحت "ريا" أريد أن يعود ربيع...قاطعها الملك قائلا: لك ذلك على شرط أن لا يعرف الإنس عن الأمر شيئا)[1] .

[1] ياسمين زهران: باطن الهواء، ص 56 ،68.

ج- الرمز الديني:

"لا يكاد يختلف اثنان حول أهمية "الدين" للإنسان فقد خلق للعبادة ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ (سورة الذاريات:الآية56)، والدين دستور يشرع الحلال والحرام، وينظم سير المجتمعات، وحدود حريات الأفراد، وهذا الكلام العام والخاص فيه هو النظر إلى الدين، ونظرة الشعراء والأدباء إليه بالذات فقد كان التراث الديني في كل العصور ولدى كل الأمم مصدرا سخيًا، من مصادر الإلهام الشعري، حيث يستمد منه نماذج وموضوعات، وصور أدبية ".[1]

ولذلك نجد الروائية الفلسطينية "ياسمين زهران" استعملت الرمز الديني في الرواية فوظفت سيدنا "نوح" عليه السلام كرمز من الرموز الدينية لطول الفترة التي عاشها في دعوة قومه لاعتناق الإسلام، فهناك من يقول بأنه عاش 950 سنة لقوله تعالى ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا**﴾ (سورة العنكبوت، الآية 14).

وهناك قول آخر يرى بأن 950 سنة هي الفترة التي كان فيها سيدنا نوح يدعوا قومه للإسلام وإنما عاش أكثر من ذلك.

وهنا نجد ربيع الشباب الفلسطيني يخاطب مع رفقته ويحدثهم بأن يوم التحرير آت لا محالة، وأنه ربما تحدث معجزة ويعيش نفس العمر الذي عاشه سيدنا نوح عليه السلام ويحضر ويشاهد يوم النصر ويوم عرس استقلال فلسطين المحتلة من طرف العدو الإسرائيلي حيث يقول ((ومن يدري لعلي أخاوي نوح، وأرى يوم التحرير!)).[2]

ومنه فالروائية "ياسمين زهران" جعلت سيدنا "نوح" رمزًا دالاً على الحقبة الزمنية الطويلة التي عاشها.

[1] فطيمة بوقاسة، جميلة بوحيرد: الرمز الثوري في الشعر العربي المعاصر، إشراف يوسف وغليسي، مخطوط رسالة ماجيستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007، ص56.

[2] ياسمين زهران: باطن الهواء، ص 91.

لتأتي أيضا وتوظف رمزًا دينيًا آخر وهو سيدنا "الخضر" الذي يعدّ رمزًا للعلم والحكمة يقتدي به المسلمون فمن منا لا يعرف قصة سيدنا "الخضر" مع سيدنا موسى عليه السلام.

حيث شبهت به الروائية الشاب الفلسطيني "ربيع" يقول:(رأيته في أول مرة يحمل سيفا ويركب فرسا حمراء وعلى رأسه كوفية وله ذقن طويل مثل أبو زيد الهلالي، وفي ثاني مرة رأيته يركب فرسا أشهب اللون وعلى رأسه طاقية من الحديد (خوذة) وقد مدّ رمحه ليقتل العربيد، وعندما حكيت الحلم للناس، قالوا هذه مثل صورة الخضر).

كما وظفت لفظة "الحجارة" التي تحيلنا إلى الموروث الروحي لدى الشعوب، فهي رمز العقاب أو العذاب: ففي القرآن الكريم "ترمز للانتقام" من الظالمين "أصحاب الفيل" "حجارة من سجيل" ورجم الشيطان في الحج.

ومنه فالحجارة تعد كالسلاح يستعمله الشعب الفلسطيني للانتقام من العدو الإسرائيلي والدفاع عن أرضه وممتلكاته:(... قلت له هذا صحيح فأنا من شعب أعزل يقاوم بالحجارة).[1]

كما وظفت الروائية "ياسمين زهران" بعض الرموز الدينية الأخرى حيث نجد:

-**شعب الله المختار**: وظفت الروائية هذا الرمز في الرواية كون الإسرائيليين يعتقدون أنهم أبناء الله وأحبائه، وأنهم شعبه المدلل، وأن بقية الشعوب قد خلقت لخدمتهم، فهذه عقيدة محرفة تقول :(... وأنتم بخصوصية الشعب اليهودي وتدّعون أنكم شعب الله الخاص...).

وشعب الله المختار يتلذذ في تعذيب وتشريد الفلسطينيين وهم لا يتحملون العذاب والمصائب.!

[1] ياسمين زهران: باطن الهواء ، ص 144-162.

-**حائط المبكى:** وهو سور الحرم جعل منه كمقدس ديني، يذهبون ويبكون عنده ويقومون ببعض الطقوس ويدعونها أساطير:(... وأنتم تنوحون على حائط المبكى الذي أخذتموه قسرًا وبهتانًا من العثمانيين ...).

-**بيت المقدس:** استخدمته الروائية أيضا كرمز ديني، كونه القبلة الأولى للمسلمين، التي يتوجهون إليها للصلاة، فهو مقر الأنبياء ومهبط الملائكة الأطهار، فهو مسرى ومعراج النبي محمد صل الله عليه وسلم تقول الروائية:(... من الساحل إلى بيت المقدس).[1]

د- الرمز التاريخي:

إن توظيف الرموز التاريخية في الأدب العربي، عرفت في المشرق العربي بشكل لافت، ولعلَّ ذلك يعود إلى الانكسارات وخيبة الأمل التي منيت بها شعوب العالم العربي، والمحاولات الفاشلة للنهضة واستعادة أمجاد العرب، إذ رزخت معظم البلدان العربية تحت الاستعمار والانتداب الأوروبي بعد سقوط الدولة العثمانية، وما لحقه من محاولات جادة بغية مسخ تاريخها وهويتها واستلاب مدخراتها الثقافية والمادية، بالإضافة إلى زرع الكيان الإسرائيلي في جسم الأمة الذي شكّل وعيًا قوميا موحدًا لدى أدباءنا الذين أشادوا بالقضية واستخدموا "القدس" كرمز وقناع من أجل استنهاض الشعوب والدفاع عن الشرف المسلوب، فإن الشاعر أو الروائي يختار من شخصيات التاريخ ما يوافق طبيعة الأفكار والقضايا والهموم التي يريد أن ينقلها الى المتلقي .[2]

إذن من الأسباب التي دعت الشعراء والكتاب الفلسطينيين إلى اعتناق الرموز وخاصة منها الرمز التاريخي في أشعارهم، وأعمالهم الأدبية ككل تعود إلى الكبت السياسي والاجتماعي الذي عاناه الشعب الفلسطيني دهرًا طويلاً في ظل التواجد العسكري الإسرائيلي، إذ أن اللغة التقريرية المباشرة تعرض الأدباء لألوان السجن والتعذيب، ومنه فإن الكاتبة

[1] ياسمين زهران: باطن الهواء ، ص 09، 165.

[2] يوسفي سوهيلة: الرمز ودلالته في القصيدة العربية المعاصرة قراءة في الشكل (لخليل حاوي)، إشراف الأحمر الحاج، مخطوط مقدم لنيل درجة الدكتوراه في اللغة والأدب العربي، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بالعباس، 2011، ص 108.

الفلسطينية "ياسمين زهران" واحدة من بين ثلّة من الكتَّاب والشعراء الذين كتبوا عن قضايا الأمّة والشعب الفلسطيني، إذ نجدها وظّفَت في روايتها "باطن الهواء" من أيام فلسطين، العديد من الرموز التاريخية كالقدس والكيان الصهيوني وأطفال الحجارة، وما آلت إليه دولة فلسطين من مظاهر قمعٍ وإبادةٍ وأحداث مأساوية.

إذ تحدثت عن القدس قائلة على أنها أصبحت تحت السيطرة الإسرائيلية، ومركزًا للعدو الصهيوني يمارس فيها أبشع جرائم التقتيل والتعذيب، والقهر والظلم والبطش والتنكيل الذي لا يمكن فعل أي شيء أمام ممارساته الاضطهادية، خاصة عندما نتحدث عن مشاريعه الاستيطانية المنتدبة على أرض القدس هذا من جهة، ومن جهة أخرى تشير الروائية "ياسمين زهران" على أن "القدس" رمزًا للحضارة الإسلامية ومنبعًا للعلم والمعرفة إذ تحتوي على أكبر مراكز التعليم كالجامعات والمعاهد.

ثم تأتي الكاتبة للحديث عن "العدو الصهيوني" المرموز له بالظالم المستبد الذي لا يقهر، والقاتل الذي لا يرحم ولا يعرف للإنسانية معنى، ولا ضمير له فيسري في عروقهم التعطش للدماء والبهجة في الدمار، والقتل والنهب لغرض واحد وهو استعمار الأراضي الفلسطينية، أراضي الشعب البريء الذي يناضل من أجلها بما لديه من قوة وأسلحة وإن كانت "الحجارة" كواحدة من بين هذه الأسلحة حيث ذكرت الروائية الأبطال الذين صنعوا التاريخ بانتفاضتهم الباسلة ألا وهم "أطفال الحجارة الفلسطينيين" حيث تمثلت مواقفهم البطولية في كونهم:

رفضوا الانصياع لغطرسة الكيان الصهيوني، فوقفوا في وجهه معلنين أن لا تفاوض ولا استسلام، ومنه أعطوا دروساً في الشجاعة وفنّدوا النظرة للطفل على أنه هش وهو أول ضحايا الحروب والصراعات، وجابهوا العدو الإسرائيلي المدجج بالأسلحة، وهم مجردون من أي سلاح إلاّ الحجارة وإيمانهم بالله.

ونستخلص كل ذلك في قول الروائية (فقد ولد بعد الاحتلال الثاني، ونشأ في جو أسود مرير تمليه الحياة في ظّل الاستعباد والظلم ... استقر رصاص العدو في الأجساد

اليانعة ...إذهابي إلى كرم الزيتون لتري الاسلاك الشائكة التي وضعها اليهود حوله، فهذه أول خطوة في استملاكه وتحويله إلى مستعمرة ...وما هي المسكوبية هي ساحة كبيرة في وسط القدس ... هي المركز الأول للتحقيق والتعذيب ... لقد حصلنا بعد جهد جهيد على منحة للدراسة في الجامعة العربية للقدس ...أطفال الحجارة يواجهون المدرعات...).[1]

ومما سبق فإن الاديب شاعرًا كان أم روائيًا مقموع وممتلئ بالخوف والقلق، لذلك غالبا ما يلجأ للتعبير عن مواقفه وما يكمن بداخله تجاه الكون والحياة عن طريق توظيف الرمز والدلالة بشتى أنواعه، فبات أفضل أداة تعبيرية للتنفيس عن معاناته النفسية والفكرية والواقعية.

.

[1] ياسمين زهران: باطن الهواء ، ص 30 – 144.

الخاتمة

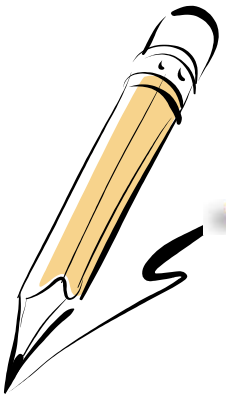

الخاتمة:

من خلال تطرقنا لدراسة الرمز في رواية باطن الهواء لياسمين زهران توصلنا إلى بعض النتائج:

1.نجد أن الروائية مالت إلى النزعة الموضوعية، على غرار النزعة الذاتية كونها رسمت آلام أمتها.

2.نلاحظ كثرة وجود الرموز الأسطورية في ثنايا الرواية، كون الروائية عبرت عن قضايا وطنها، لأن أرض فلسطين تبطن فيها الخفايا، وتكمن في ترابها العجائب والمعجزات.

3.حظيت الرموز الدينية بنصيب وافر، كون الروائية استحضرت بعض الشخصيات الدينية.

4.أما عن الرموز التاريخية فكانت بمثابة المحطة المهمة لمساعدة الأجيال من الاطلاع على الحوادث السابقة، واتخذت الروائية من التاريخ، معلم مهم في الرواية.

5.توظيف الرموز الطبيعية في الرواية كان نتيجة تأثر الروائية بالطبيعة، لأنها مملوءة بعصر الحياة ويانعة بأزهار الفن.

6.تعددت أنواع الدلالات في قلب الرواية وبقوة، للدلالة على عراقة وثقافة وأصالة الشعب الفلسطيني والتراب الفلسطيني.

واستخلصنا أن الرمز وسيلة أدبية فنية، يلجأ إليها الأديب بصفة عامة في عمله، من أجل بث روح الغموض فيه.

7.أيضا استخدام الرموز يضفي على الرواية أصالتها، فيبثُّ فيها الروح من جديد ويصل ماضيها بحاضرها.

فالرمز هو عبارة عن إشارات بكلمة أو بمعنى محسوس أو غير محسوس قصد تبليغ الفكرة أو إحداث انفعال مما زاد اهتمام الروائية بتوظيفه في عملها الأدبي، لما يحمله من مدلولات تختلف حسب ثقافة الروائيين والأدباء والقراء.

8.توظيف الروائية للرموز والدلالات في عملها الفني من أجل خدمة قضيتها الوطنية، والتعريف بما آلت إليه فلسطين وشعبها من أجل إيصال صِيتها إلى العالم أجمع.

9.وضحت لنا الروائية بأن أرض فلسطين أرض الحضارات منذ فجر التاريخ بما تحمله من دلالات دينية وتاريخية وفكرية، فباتت ارض فلسطين قبلة العرب والمسلمين من جميع أنحاء الأرض.

تعدُّ هذه من أبرز النتائج التي توصلنا إليها من خلال بحثنا وأجابت هذه الدراسة على الإشكالية التي طرحناها، ونأمل أن نكون قد ألَّمينَا بكافة العناصر التي طرحت وجميع الأفكار والآراء، فإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا والله ولي التوفيق والله المستعان.

.

.

الملحق

ملحق رقم (1)

الروائية "ياسمين زهران" في سطور:

- مولدها ونشأتها:

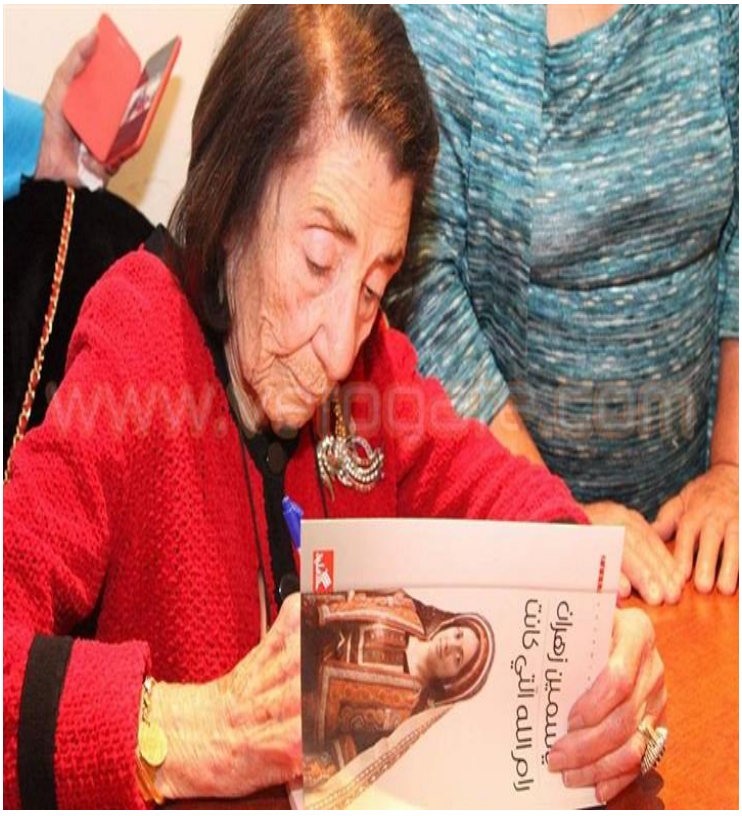

ياسمين زهران عانقت نور الحياة في مدينة "رام الله" عام 1933، درست في جامعة كولومبيا الأمريكية، ثم أكملت تعليمها في جامعة لندن ونالت شهادة الدكتوراه في موضوع علم الآثار من جامعة السوربون في باريس.

عملت مستشارة في اليونسكو، وشغلت منصب سفير الثقافة والتربية حول العالم، وهي من مؤسسي معهد الآثار التابع لجامعة القدس، الذي درست فيه ما بين 1991-1995، وعاشت أيام حياتها الأخيرة ما بين رام الله وباريس، رحلت في الرابع والعشرين من تشرين الأول.

ياسمين زهران امرأة شجاعة وشخصية فلسطينية عاشت أغنى تجارب عصرها، واسهمت بفعالية ونشاط في توسيع انتشار ثقافتها وتاريخها وهويتها، وكانت طول مسيرة حياتها متمسكة بوطنها وهويتها الفلسطينية والقومية العربية، معتزة بانتمائها الكنعاني، مستندة إلى مخزونها الثقافي التاريخي الكبير، متمسكة بالموروث الشعبي والنضال والوطن.

ياسمين زهران من الزمن الفلسطيني الجميل، من جيل القيم والضمير، لم تتنكر يوما لفلسطينيتها، واسهمت في الكشف عن الآثار الفلسطينية.

وغُدَاة وفاتها التأم المجلس البلدي لـ "رام الله" لتأبين ياسمين زهران وأطلق أسمها على أحد شوارع المدينة تكريما لها إنسانة وباحثة ومؤرخة ومبدعة، وإحتراما لمسيرتها الإبداعية

في إنتاج وكتابة أعمال بحثية معمقة في مجال التاريخ والبحث العلمي الأكاديمي، وشخصية وطنية مهمة تستحق التخليد والعرفان من مدينتها ومسقط رأسها "رام الله"، التي طالما شغفت بها حتى درجة العشق.

غابت ياسمين زهران وبقيت فلسطين، همّها وهمّنا، بقيت عبر الوجوه والابتسامات الفلسطينية.

ياسمين زهران ما عدت تطلّين بوجهك وقامتك الشامخة كشموخ جبال "رام الله" و"الخليل"، بحفيف الأمطار واللؤلؤ والأصداف، فقد حملوك على الأكتاف غزالاً، ولكنك ستبقين خالدة محفورة في الوجدان الفلسطيني.

- **أهم أعمالها الأدبية:**

ياسمين زهران قامة إبداعية فلسطينية مميزة وبارزة على الصعيد الفلسطيني، لطالما شكلت ايقونة خاصة في مجال الإبداعي والأكاديمي في شتى حقول المعرفة، عبر دراساتها البحثية التاريخية التوثيقية وإصداراتها الأدبية الإبداعية ومن أهم أعمالها نذكر:

- اللحن الأول
- باطن الهواء
- يوم صيف
- رام الله التي كانت
- روح تبحث عن جسد
- أصداء من تاريخ الأردن

بقلم شاكر فريد حسن

ملحق رقم(2)

ملخص الرواية:

دار الدهر دورته وحلت الكارثة سنة 1947، وضاع القسم الأكبر من فلسطين، انعزلت عين القصر عن قرى الساحل التي أصبحت تحت الاحتلال فيها أصبح يسمى إسرائيل وأضاع باطن الهواء مكانته كالمسلك الوحيد بين قرى الجبل وقرى الساحل، فكان الناس يقفون على مشارف الوادي ليرو بحر يافا الذي حرموا منه من بعيد – وكان الوادي حنا في انعزالها فخفت زمجرته، وعاد الناس إلى حراثة وزراعة أراضيهم في الأودية المجاورة والقريبة من الساحل، فقد قطعهم الاحتلال عن عالمهم المعهود. ثم جاءت كارثة سنة 1967 حيث احتل اليهود ما تبقى من فلسطين، فزاد تعلق القرية بالأرض المهددة وتوثقت العروة بين الوادي وعين القصر، وبدأت مستعمرات الاستيطان اليهودي تنتشر فوق أراضي القرى والمدن المجاورة. ولكنهم لم يقربوا من باطن الهواء، وعلل الناس هذه الظاهرة بالقول – باطن الهواء يحمي القرية فلا يجرؤ العدو التغلغل فيه، ولكنهم مع ذلك لم يستطيعوا أن ينزعوا من أنفسهم المخاوف الكامنة نحو باطن الهواء.

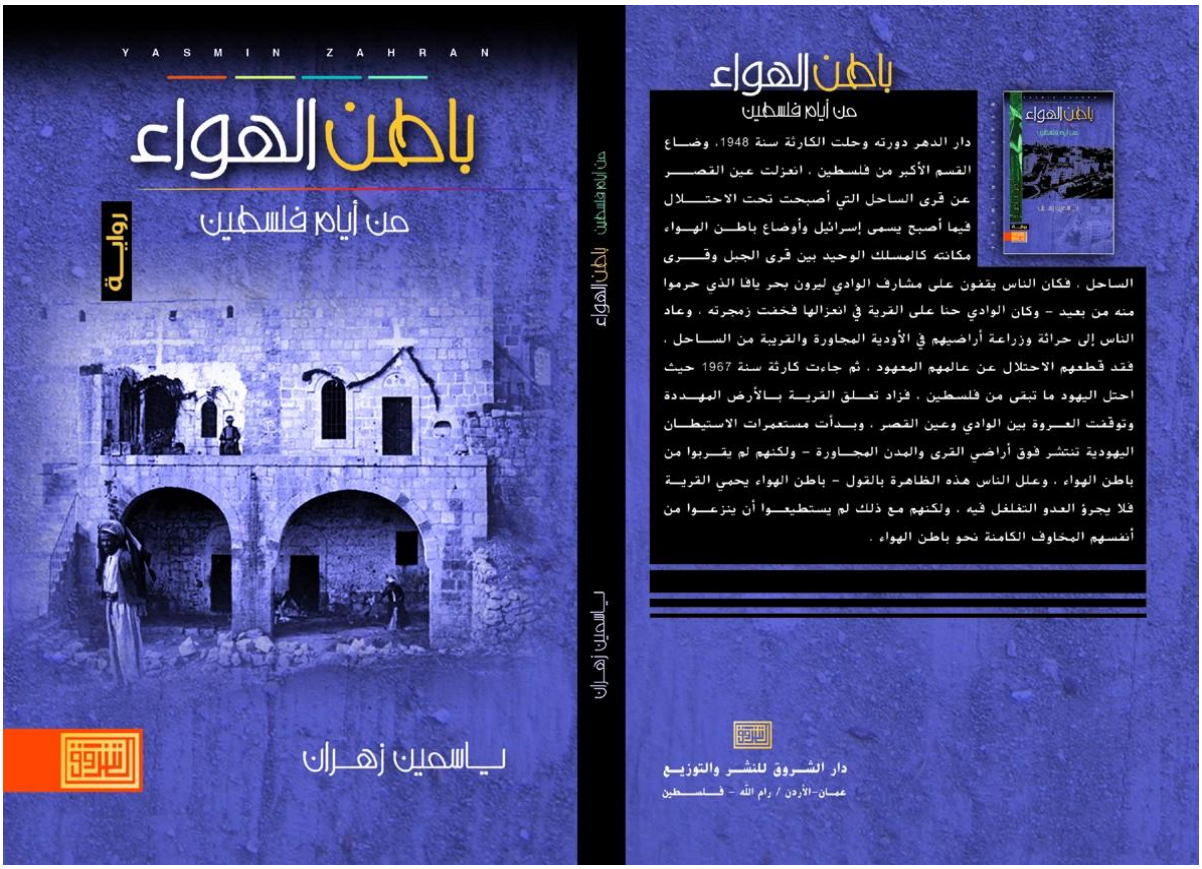

قائمة

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

قائمة المصادر والمراجع

المصـادر:

1. القـرآن الكريـم
2. ياسمين زهران: باطن الهواء، دار ميريت للنشر والمعلومات، اقاهرة، ط1، 2001م.

المعاجــم:

3. ابن منظور: لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، د.ط، 2003م.
4. الفيروز آبادي: القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، د.ط، 2008م.

المراجــع:

5. إيليا الحاوي: الرمزية والسريالية في الشعر الغربي العربي، دار الثقافة، بيروت، 1980م.
6. إيمان (محمد أمين) خضر الكيلاني: بدر شاكر السياب: دراسة أسلوبية لشعره، دار وائل، عمان، ط1، 2008م.
7. تشارلز تشادويك: الرمزية، تر: نسيم إبراهيم يوسف، الهيئة المصرية، 1992م.
8. جيرار دولودال: السيميائيات أو نظرية العلامات، تر: عبد الرحمان بوعلي، دار الحوار، سوريا، ط1، 2004م.
9. حسين الحاج حسن: الأسطورة عند العرب في الجاهلية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، 1998م.
10. دانيال تشاندلر: أسس السيميائيّة، تر: طلال وهيبة، بيروت، ط1، 2008م.
11. سعيد بنكراد: السيميائيات والتأويل، المركز الثقافي العربي، مكناس، د.ط،

د.ت، ص 76.

12. عبد القادر فهيم الشيباني: معالم السيميائيات العامة، أسسها ومفاهيمها، سيدي بلعباس، الجزائر، ط 1، 2008م.

13. علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د.ط، 1997م.

14. فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، دار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2010م.

15. محمد فتوح أحمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، مصر، د.ط، 1977م.

16. ميشال آريفيه ،جون كلودجيرو، لوي باننييه، جوزيف كورتيس: السيميائيّة أصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك، الصندوق الوطني لترقية الآداب والفنون وتطويرها، الجزائر، د.ط، د.ت.

17. نسيمة بوصلاح: تجلي الرمز في الشعر العربي المعاصر، إصدارات رابطة إيداع الجزائر، 2002م.

المذكرات والرسائل الجامعية:

18. جميلة شاطو: النزعة الأيقونية وتطبيقاتها في السيميائيات المعاصرة (مشروع السيميائيات وتحليل الخطاب الأدبي)، إشراف سنطبول ناصر، مخطوط رسالة ماجيستير، جامعة وهران، 2013م.

19. فطيمة بوقاسة، جميلة بوحيرد: الرمز الثوري في الشعر العربي المعاصر، إشراف يوسف وغليسي، مخطوط رسالة ماجيستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007م.

20. سوهيلة يوسفي: الرمز ودلالته في القصيدة العربية المعاصرة قراءة في الشكل (لخليل حاوي)، إشراف الأحمر الحاج، مخطوط مقدم لنيل درجة

الدكتوراه في اللغة والأدب العربي، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بالعباس، 2011م.

المجلات والدوريات:

21. رسول بلاوي، حسين مهتدى: الرموز الطبيعية ودلالاتها في شعر يحيى السماوي، مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد 20، صيف 1436هـ.

22. سعيد بنكراد: السيميائيات، مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،العدد 35، مارس 2007م.

فهرس

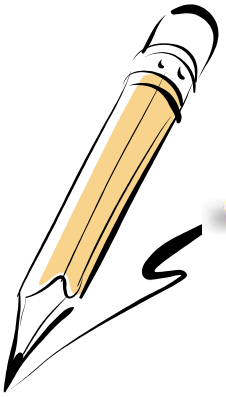

المحتويات

فهـرس الموضـوعات

الإهـداء

الشكر والعرفــان

المقدمة..... أ-ج

المدخل..... 5

الفصل الأول : بين السيميائية والرمز

المبحث الأول: ماهية السيميائية..... 10

1. **السيميائية عند الغرب:**..... 10

أ- دو سوسير..... 10

ب- بيرس..... 11

ج-غريماس..... 13

2. **السيميائية عند العرب:**..... 14

أ- الجاحظ وإشاراته إلى العلامات غير اللغوية 14

ب-الجرجاني وآراءه حول العلامات والتحول الدلالي 14

ج-مفهوم الدلالة عند «ابن عربي..... 16

المبحث الثاني : ماهية الرمز..... 19

1. **ماهية الرمز:**..... 19

أ- التعريف اللغوي..... 19

ب- التعريف الاصطلاحي..... 19

2. **أنواع الرمز**..... 20

الفصل الثاني: التوظيف الدلالي والرمزي في رواية باطن الهواء

المبحث الاول: التوظيف الدلالي في رواية باطن الهواء..... 25

1. **الدلالة ومفهومها**..... 25
2. **أنواع الدلالات الواردة فيها**..... 26
أ- دلالة العناصر الاصلية..... 26
ب- دلالة الاديان..... 26
ج-دلالة العرق..... 26
د- دلالة العمران..... 27
هـ- دلالة الز مكانية..... 27
-**المبحث الثاني:** توظيف الرموز في رواية باطن الهواء..... 28
1. **الرمز وأنواعه في الرواية:**..... 28
أ- الرمز الطبيعي..... 28
ب- الرمز الأسطوري..... 31
ج-الرمز الديني..... 35
د- الرمز التاريخي..... 37
الخاتمة..... 41
الملاحق..... 44
قائمة المصادر والمراجع..... 48
الفهرس..... 53

ملخص

الملخــص:

تمثلت إشكالية بحثنا في التقصي حول تحليل الرموز بمختلف أنواعها، والكشف عن أهم المدلولات التي تحملها، وما تحويه من دلالات تزيح الغموض، وهذا ما جعلنا نختار رواية "باطن الهواء" للروائية ياسمين زهران كمدونة رئيسية اعتمدناها في موضوعنا المختار، فتطرقنا لأول فصل وأدرجنا فيه ماهية السيميائية عند الغرب والعرب، وماهية الرمز وأنواعه، ثم عرجنا بعد ذلك إلى الفصل الثاني للدراسة والتحليل، فتناولنا فيه الدلالة كمفهوم، واستخرجنا أنواع الدلالات الواردة في المدوَنة، كما أشرنا إلى أهم الرموز الموظفة داخل النص الروائي لياسمين زهران، وإزالة الغموض عنها وتحليل معانيها.

الكلمات المفتاحية: الرموز – الدلالات – ياسمين زهران – الرواية (المدونة) – السيميائية – الغموض – التحليل.

Résumé:

Le probleme a été réprésenté dans nos recherches sur l’analyse des différents types des symbols et révelent les connotations les plus importantes qu’ils portent et ces connotations qu’ils contiennent qui déplaçent l'ambiguïté et c’est ce qui nous a fait choisir le roman de “ L’interieur de l’air” de la romanciére Yasmin Zahiran comme blog principal qui nous avons adapté dans notre sujet choisi. En tant que concept, nous avons extrait les types de sémantique mentionnés dans le blog. Nous nous sommer également réferés aux symbols les plus importants employes dans le texte fictif de Yasmin Zahiran, en supprimant les ambiguïtés et en analysant leur signification.

Mots Clés :Symboles – Sémantique - Yasmin Zahiran – Roman (Blog) – Analyse – Sémiotique - Des mystéres.